مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
ISSN 2170-0370/E-ISSN 8127-2710
المجلد12- العدد02–2021،ص ص187- 198

واقع التعليم القرآني بمدينة تقرت بالجنوب الجزائري

The reality of Quranic education in the city of Touggourt in southern Algeria

سميـر أبيـش
جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل (الجزائر)، Samir.oubbiche@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام : 2021/04/24 ؛ تاريخ القبول : 2021/05/11 ؛ تاريخ النشر : 2021/06/07

الملخص

تهدف هذه الدراسة بالأساس إلى الوقوف على واقع التعليم القرآني ومدارس التحفيظ في مدينة تقرت بالجنوب الكبير، وإبراز خصائص هذا النوع من التعليم، من حيث منهاجه التربوي وطرق ووسائل تعليمه، وكذا إبراز أهم الإيجابيات التي يحققها التعليم القرآني للفرد والمجتمع
مع إبراز أكثر وأبرز الصعوبات والعراقيل التي يواجهها التعليم القرآني والقائمين عليه خلال السنوات الأخيرة، وما هي أبرز المقترحات التي من شأنها مواجه هذه الصعوبات والتغلب عليها.

الكلمات المفتاحية : التعليم القرآني ؛ تحفيظ القرآن الكريم؛ مدينة تقرت ؛ المجتمع الجزائري ؛ التربية.

Abstract

This study aims mainly to find out the reality of Quranic education and memorization schools in a city Touggourt approved in the Great South, and to highlight the characteristics of this type of education, in terms of its educational curriculum and methods and means of teaching it, as well as highlighting the most important advantages that Quranic education brings to the individual and society With the most prominent and prominent difficulties and obstacles that Quranic education and those in charge of it face in recent years, and what are the most prominent proposals that will face these difficulties and overcome them.

Keywords : Quranic education ; Memorizing the Holy Quran ; Touggourt ; Algerian society Education..

***سمير أبيـــش**

(مقدمة) :

شكل الإسلام منذ دخوله إلى بلاد المغرب الإسلامي على يدي الصحابي الجليل عقبة بن نافع عنصرا أساسيا في بناء المجتمعات المغاربية وخاصة المغرب الأوسط، إلى الحد الذي جعل العلامة ابن خلدون يؤكد على أن هذه المجتمعات لا تقوى شوكت عصبيتها ولا تقوم لها قائمة إلاّ عن طريق الدين.

ومنذ اقتناعهم بالإسلام طواعية وإيمانهم به عمد سكان الجزائر إلى خدمة هذا الدين والدودي عنه بكل الوسائل والأساليب، والتي شكّل ميدان تعليم القرآن الكريم وخدمته بالتأليف من بين أكثر الميادين التي نالتها رعاية واهتمام خاص من طرف السكان المحليين، نتيجة إيمانهم العميق بالقرآن الكريم وحبهم لكتاب الله تعالى والدور الكبير الذي يلعبه في تزكية نفوسهم وهداية أبنائهم وإصلاح مجتمعهم، إذ يخبرنا النسابة الأول لمجتمعات المغرب الإسلامي أنهم كانوا أول ما يعلمون أبنائهم القرآن الكريم قبل علوم اللغة والنحو، بمناهج وأساليب وطرق ابتدعوها بأنفسهم وأصبحت من خصائص منهجهم في تعليم القرآن يعرفون بها.

ونتيجة لهذا الاهتمام اشهرت حواضر علمية وبرع علماء كبار في مختلف علوم القرآن كالإمام الهذلي صاحب كتاب العشر والأربعين الزائدة عليها، والإمام التنسي الذي شرح ضبط الخزار، والبوجليلي في العشر الصغرى عن نافع، والوهراني صاحب تقريب المنافع، والثعاليبي في التفسير، والشريف التلمساني صاحب أول تفسير في الجزائر وغيرهم كثير، غير أن ابتلاء الجزائر بمحنة الاستعمار الفرنسي ودخول معظم الدول الإسلامية عصر الانحطاط جعل هذه الحركة النشطة في خدمة كتاب الله تتراجع كثيرا خاصة في المدن والحواضر الكبيرة كبجاية وقسنطينة وتلمسان.

وعلى الرغم من التراجع الذي شهدته الحواضر الكبرى بقيت المناطق البعيدة عن مراكز الاستعمار الفرنسي في الصحاري والبوادي والأرياف تواصل نشاطها في خدمة كتاب الله على نفس النهج.

غير أن التعقيدات التي تشهدها الحياة المعاصرة وطغيان الجانب المادي داخل المجتمع والتطور الكبير الحاصل في ميدان تكنولوجيات الإعلام والاتصال، جعل الكثير من مدارس تحفيظ القرآن الكريم تواجه صعوبات ومشاكل كبيرة من أجل مواجهة هذه التحديات، خاصة مع التطور الذي تشهده المناهج التربوية داخل المدارس المدنية في مقابل بقاء مدارس تحفيظ القرآن على نهجها القديم، ولذلك جاءت هذه الدراسة بهدف الوقوف على واقع تحفيظ القرآن الكريم بإحدى المناطق الصحراوية المعروفة بانتشار مدارس تحفيظ القرآن وهي مدينة تقرت، وذلك من خلال الوقوف على طرق وأساليب التدريس داخل هذه المدارس، والوسائل التعليمية، ومنهج التعليم، وعلاقة هذه المدارس بباقي مؤسسات المجتمع.

1- مؤسسة الكتاتيب القرآنية:

مؤسسة الكتاتيب القرآنية عبارة عن حجرات صغيرة تقتطع من المسجد أو تبني بجواره، هدفها الأساسي تعليم الأطفال الصغار القرآن الكريم وبعضا من مبادئ اللغة العربية ونطق الحروف والخط، ويشير الدكتور بوفلجة

غياث إلى أن الكتاتيب شكّلت في الجزائر وحدة للتعليم الابتدائي هدفها الأساسي تحفيظ القرآن للصبيان. (بوفجلة غياث، 1993، ص25)

ويرجّح دخول هذا النوع من التعليم إلى الجزائر وانتشاره فيها مع دخول الإسلام إليها، حيث يذهب الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إلى أنّ ظهور الكتاتيب أو المكاتب العربية ليتعلم فيها الصبيان كان في عصر الفتوحات الإسلامية العظيمة (أحمد فؤاد الأهواني، 1968، ص76)، والجزائر بلا شك هي إحدى هذه الأقطار الذي شملتها الفتوحات الإسلامية، كما أن الاهتمام الكبير الذي كان يليه المجتمع الجزائري لتعليم الصغار القرآن شكّل عاملا مهما في انتشار هذه الكتاتيب والاهتمام بها، لأن تعليم الأطفال القرآن بصفة خاصة كان أمرا عظيم الخطر في الإسلام حتى اعتبره الكثير من العلماء فرضا من فروض الكفاية(عبد الله عبد الدايم، 1984، ص146)، وقد بيّن ابن خلدون ذلك بقوله:(اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم)(عبد الأمير شمس الدين، 1956، ص187) ، فالعامل الديني شكّل إذا أهم العوامل الذي ساعدت على انتشار هذا النوع من التعليم.

ولقد كانت الكتاتيب منتشرة بكثرة في فترة الوجود العثماني بحيث لا يكاد يخلوا منها حي من الأحياء في المدن أو القرى، وعن طريق هذه الكتاتيب القرآنية كان حفظ القرآن الكريم كله أو بعضه منتشرا في المجتمع الجزائري انتشارا ملحوظا (رابح تركي، 2001، ص378)، وقد وصفها أحد مفتشي التعليم القرآن في بلادنا بأنها رمز ذاتنا وعنوان كياننا وأسلوب منهج تعليمنا القديم وهي أبسط المدارس التي عرفها التاريخ.(بن جدو بن داود، 2003، ص 39)

2- أهداف التعليم والتحفيظ القرآني في الجزائر:

تهدف كتاتيب ومدارس تحفيظ القرآن الكريم داخل المجتمع الجزائري إلى تحقيق المقاصد والأهداف التالية:

- أن تمسّك النشء بالقرآن الكريم من حيث حسن الحفظ والاستظهار وحسن التلاوة.
- تعويد النشء على تدبر معاني القرآن الكريم والتعرف على أحكامه للاستعداد للفهم والتطبيق.
- العمل على تحصين النشء من خلال ربط شخصيتهم مبكرا بالقرآن الكريم عقيدة وعقلا ووجدانا.
- تزويد النشء برصيد لغوي غني بالمفردات الفصيحة.
- تدريب النشء على القراءة السليمة والصحيحة.
- توفير للنشء الأمن النفسي والتهذيب الأخلاقي.(زيرق دحمان، 2012/2011، ص 24)

أما الهدف الأسمى لهذه المدارس فيتمثّل في الحفاظ على الدين الإسلامي: حيث إنّ مداومة الأطفال بالحضور إلى المدرسة القرآنية يمكّنهم بالإضافة إلى حفظ السور القرآنية ومجموعة الأحاديث النبوية الشريفة التي تترسّخ في أذهانهم، وتتشرب في نفوسهم قيم تترجم وتنعكس على سلوكياتهم، وأيضا تساهم شخصية معلم القرآن المتسمة بالتواضع والورع والتقوى بشكل كبير في تجسيد القدوة التي يسعى الأطفال إلى تقليدها حيث يرون من خلاله صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعبره يكتسبون التنشئة الإسلامية الصحيحة والعقيدة السليمة ويكتسبون القيم الاجتماعية التي يتعايشون بها، وينقلونها إلى الجيل القادم للمحافظة على الثقافة، وعبر المدرسة القرآنية يكتسب الأطفال العادات والقيم الإسلامية التي تدخل في تشكيل هوية المجتمع، وتنمو شخصياتهم على تقوى الله، وحب الوطن وحب الخير للناس، واحترام الآخرين وتنمو فيهم روح التكافل، والتعاون ويتدرّبون على إحياء الشعائر والمناسبات الدينية، ويتناقلونها بين ذويهم في صيغ عامة تحفظ الطابع الخاص للمجتمع.

3- النظام الدراسي لمدارس وكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم بمدينة تقرت

يختلف النظام الدراسي داخل كتاتيب ومدارس القرآن الكريم في المدينة من مدرسة إلى أخرى ومن مسجد لآخر وحسب حالة القائمين عليها.

أولا- المدارس القرآنية التي تفتح أبوابها لمرتديها طوال العام، وخلال فترتين صباحية ومسائية، وهي في أغلبها المدارس التابعة للمساجد المعتمدة من طرف الجهات الرسمية، ويؤطرها معلمون معيّنون من قبل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وتخضع في برنامجها للمفتشية العامة للتعليم والتوجيه القرآني، وهي أكثر الأشكال والأنظمة الدراسية انتشارا في المنطقة وأما غيرها فلا يشكل إلا استثناءا فرضته بعض الظروف والعوامل.

ثانيا- المدارس القرآنية التي تعمل بنظام التمدرس الصباحي فقط، وهي المدارس التابعة إلى بعض الجمعيات المحلية، أو أقيمت من أجل الوفاء بمتطلبات بعض الفئات الخاصة التي ليس بإمكانها الانتظام داخل مدارس النوع الأول، وأكثر رواد هذا النظام الدراسي من العنصر النسوي، حيث يلاحظ إقبال كبير من طرف النساء على هذا النوع من التعليم القرآني.

ثالثا- المدارس القرآنية التي تعمل بنظام التمدرس المسائي، وهي كسابقتها جاءت تلبية رغبة بعض الفئات الاجتماعية وخاصة العمالية، حيث تخصص بعض المساجد أوقات مسائية من أجل تمكين العمال من حفظ كتاب الله، كما أن بعضا من المساجد التي وقفنا عليها أخبرنا أنها تضطر خلال فصل الشتاء وضيق الفترة الصباحية إلى الاستغناء عليها بالفترة المسائية فقط بعدما ينهي التلاميذ إلتزماتهم المدرسية.

رابعا- المدارس الصيفية: وهي المدارس وحلق تحفيظ القرآن التي تقام خلال العطلة الصيفية، وذلك قصد التخفيف على الضغط الذي تشهده الكتاتيب العادية في فصل الصيف، ولأن الكثير من المدارس القرآنية لا تقبل الانتساب إليها في فصل الصيف للذين لم يكونوا ينتمون إليها خلال باقي الموسم الدراسي وذلك لأن القائمين عليها يرون أن عدم انتظام الطالب في حلق التحفيظ لا يحقق نتائج كبيرة حيث أن القرآن الكريم يتطلب المداومة والاستمرار طوال الوقت، وتتزعم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال شعبتها المحلية هذا النظام الدراسي، حيث تقوم سنويا بتنظيم دورات مكثفة خلال فصل الصيف من أجل تحفيظ أجزاء من كتاب الله لمختلف شرائح المجتمع وهي تلقى إقبالا كبيرا عليها خاصة من طرف الطلبة الجامعيين والعمال.

خامسا- المدارس القرآنية وحلق التحفيظ التي تقام خلال العطل المدرسية، فإن كانت بعض الجمعيات تنتظر فصل الصيف لإقامة دورات تحفيظية تقوم مؤسسات أخرى بتنظيمها دوريا خلال جميع العطل المدرسية، إلاّ أن هذا النوع من أنظمة التمدرس يعد الأقل انتشارا من بين جميع الأنواع.

4- فئات الطلبة داخل المدارس القرآنية:

تتحدد مستويات وفئات الطلبة الذين ينتسبون إلى مدارس وحلقات تحفيظ القرآن في المنطقة في الغالب بعمر وسن الطفل أو الطالب، وقد يدمج أحيانا في فئة عمرية أكبر إذا أظهر مستوى يسمح له بذلك:

- الفئة العمرية من 2 إلى 4 سنوات: وهي الفئة التي تضم الأطفال الذين لم يتمكنوا بعد من القراءة والكتابة بمفردهم، ولا من أبسط أبجديات اللغة كالحرف والخط، حيث يجلس هؤلاء التلاميذ في زاوية من المدرسة في حلقة حول سبورة كبيرة كتبت عليها حروف الهجاء بخط واضح وكبير، ويعيّن لهم معلم الكتُّاب طالبا في كل حصة يقرئهم الحروف وهم يرددون خلفه، حتّى يتمكنوا من حفظها جيدا ويقومون بتصويرها في أذهانهم.

– الفئة العمرية من 4 إلى 6 سنوات: وهي الفئة التي أصبح بمقدورها القراءة ولا كن لم تتمكن بعد من الكتابة، فعوض أن يجتمع هؤلاء التلاميذ حول السبورة لتعلم حروف الهجاء يجتمعون في هذه المرحلة في حلقة حول طالب يعينه معلم المدرسة يقوم بتسميعهم وتلقينهم قصار السور حتّى يحفظوها بشكل جيد ويتقنوها.

– الفئة الثالثة: وهي الفئة التي تضم مجموعة الأطفال الذين تمكنوا من القراءة بشكل جيد ولا كن لم يتمكنوا بعد من الكتابة، وتعتبر هذه المرحلة أول خطوات الطالب في التعامل مع اللوح الخشبي، حيث يقدم الأطفال ألواحهم للمعلم ليكتب لهم عليها شيئا من القرآن بقلم الرصاص ثم يعيدون هم فوقها بقلم الحبر المخصص للكتابة على اللوح المعروف (بالصمق)، وذلك حتى يتعودوا على الكتابة بشكل جيد وتلين أيديهم بذلك، ويصبحون قادرين على تمييز الرسم القرآني عن غيره من رسوم الخط، وفي بعض المدارس أوّل ما يكتب على اللوح هو(الحمد لله الفتاّح قال ربي اشرح لي صدري، ثم يكتب على الوجه الثاني أية أو آيتين، ويلقن ويحفّظ التلميذ فيها حتّى يتقن الحروف، فيمحو وجه الحروف ويكتبها على الوجه الثاني)(التجاني نورة، 2016)

– الفئة الرابعة: وهي الفئة التي تضم الطلبة الذين أصبحتم لهم القدرة على الكتابة والقراءة بشكل جيد ودون إعانة من طرف المعلم، بحيث يعتمدون في كتابة ألواحهم على أنفسهم ودون إعانة من طرف المعلم أو الشيخ.

– الفئة الخامسة كبار الطلبة: وهي الفئة التي تتكون من الطلبة الذين يقومون بإعادة حفظ القرآن الكريم بعدما قاموا بختمه للمرة الأولى، وهم في الغالب يشكّلون الدعم الأكبر للمعلم في التدريس حيث أن الكثير من المدارس تعتمد على فئة كبار الطلبة من أجل مساعدة المعلم في تحفيظ التلاميذ الصغار، وهي في نفس الوقت تشكل لهم نوعا من التدريب والتمرين لما سيقومون به في المستقبل، كما أنهم يُقدّمون لأداء صلات التراويح في شهر رمضان عبر مختلف مساجد المدينة وحتى باقي ولايات الوطن.

5– المنهج التربوي في تحفيظ القرآن الكريم بمدارس المدينة:

1.5– تعريف المنهج التربوي: يعرف المنهج على أنه(مجموعة الخبرات التي تهيئها المدرسة للمتعلمين داخل حدودها وخارجها لتحقيق النمو الشامل لهم في جميع النواحي من شخصيتهم)، ويتحدد المنهاج التربوي بالمقررات الدراسية، الكتب، المراجع، الوسائل التعليمية، النشاطات المختلفة وطرق التدريس وأساليب التقويم.(حمد حسن اللقّاني، 1989)

يعتبر المنهج الدراسي أو التعليمي الموجود في أغلب المدارس منهجا تقليديا يعتمد على التلقين والتسميع والاسترداد للمواد الملقنة إلاّ في بعض المدارس التي تعتبر حديثة نوعا ما، حيث بدأت تحاول إدخال مناهج أكثر حداثة في تحفيظ القرآن والاستفادة خاصة من علم التنمية البشرية ومن الوسائط التكنولوجية الحديثة، ولكن تبقى هذه التجارب بسيطة جدا إذا ما قورنت بحجم المدارس التي تعمل في مجال التحفيظ، كما أن المناهج الدراسية لأغلب المدارس التي وقفنا عليها لا تتعرض للعلوم الأخرى المتعلقة بالقرآن الكريم وخاصة علم التجويد وعلم التفسير، حيث أن الصفة الغالبة على خريجي طلبة هذه المدارس هو حفظ متين وجيد ولكن دون مراعاة لأحكام التلاوة، غير أنه قد بدأت بعض المحاولات الجادة في الكثير من المدارس خاصة من طرف العديد من الطلبة الذين حصلوا شهادات إجازة في رواية ورش على بعض العلماء من قسنطينة والجزائر العاصمة وغيرها، أما علوم التفسير فتبقى غائبة تماما من مناهج هذه المدارس.

كما أن المنهج الدراسي داخل مؤسسات تحفيظ القرآن الكريم قائم بالأساس على المعلم الذي يمثل محور وركيزة النشاط التربوي فهو الذي يسمّع التلاميذ القرآن وهو الذي يقوم بتحفيظهم والمراجعة لهم وهو الذي

يكتب ألواح الطلبة الصغار وجميع الأنشطة التربوية، ولذلك من النادر أن نجد معلم المدرسة القرآنية في راحة داخل المدرسة.

2.5- الوسائل التعليمية:

تُمثل الوسائل التعليمية إحدى العناصر أو المكونات الأساسية من مكونات المنهج التربوي(أحمد حسين اللقاني، 1986، ص8) ، التي تؤدّى عن طريق التفاعل الفعّال مع باقي عناصر المنهاج الأخرى إلى توفير عدد مناسب من الضمانات لنجاح المعلم في تنفيذه للمنهج التربوي، وتعرف الوسائل التعليمية على أنها(الواسطة التي يستعملها المعلم لتطبيق طريقته التربوية التي يتبعها في ممارسته لمهنة التعليم)(كامل سليمان وعلى العبدالله، (د ت)، ص267).

2.5-1- مزايا الوسيلة التعليمية في العملية التعليمية: تقدم الوسائل التعليمية مزايا كثيرة للعملية التعليمية يستفيد منها المعلم والتلميذ نذكر منها:

- خلق الاهتمام والإثارة والانتباه بين التلاميذ أي مما يساعد على زيادة التركيز لدى التلاميذ.
- فهم ما يصعب شرحه أو تصوره خاصة فيما يخص المسائل ذات المعاني المجردة التي تحتاج إلى مستوى معرفي وإدراكي لدى التلميذ.
- سرعة نقل المعلومات وتوفير الوقت.
- القدرة على استيعاب أكبر حجم من المعرفة.
- مساعدة المعلمين غير المؤهلين على تجاوز نقص تكوينهم التربوي.
- التغلب على مشكلة الفروق الفردية بين المتعلمين.
- القدرة على مخاطبة أكثر من حاسة تعليمه. (أحمد حسين اللقاني، 1986، ص71)

وأهم الوسائل التعليمية التي تتوفر عليها المدارس القرآنية وتساعد في نشاط التحفيظ القرآني الذي تقوم به المدارس نجد ما يلي:

- الكتاب أو المصحف الشريف وهو أهم ما يطلب من الطالب توفيره ويكون برواية الإمام ورش من طريق الأزرق الطريق الذي يقرأ به أهل المنطقة دون غيره.
- قلم الرصاص الذي يستعمله الأطفال الصغار في الكتابة.
- المحبرة (السمقة أو الدواية باللغة المحلية) وهي نوع من الحبر يصنع تقليديا من جذوع النحل المحروق ويمزج بالماء والصوف بعد أن يحرق على النار ويصبح صالحا للكتابة.
- اللوحة الكبير: وهي لوحة كانت تصنع من الخشب في السابق وأما حليا فقد حلت مكانها اللوحة البلاستيكية التعليمية كالتي تستعمل في المدارس التعليمية.
- صلصال الطين: ويستعمل لإصلاح اللوحة التي يكتب عليها الطلاب حتى تكون سهلة المحو والكتابة، ويضعه التلاميذ مباشرة بعد محو لوحته ويترك لكي يجف على اللوح وقبل كتابة اللوح الجديد يتم نزعه بواسطة شفرة حلاقة أو منديل مخصص لذلك.
- قلم القصب: وهو قلم يصنع من نبات القصب بعد أن يجفف جيدا ثم يبرى بشكل يجعل منه قادرا على الكتابة عندما يغمس في المحبرة.
- اللوحة الخشبية: وهي اللوحة التي تصنع من الخشب من أجل أن يكتب عليها الطلاب شيئا من القرآن.

– مكان محي الألواح: وهو عبارة عن حفرة صغيرة مخصصة فقط لمحو ألواح الطلبة بالماء، ولا يسمح أبدا بالدوس عليها أو العبث بها لقداسة الكلام الذي تحمله الألواح.

– شفرة الحلاقة: وهي تحل محل المبراة، حيث يتم بواسطة تجهيز قلم القصب حتى يصبح صالحا للكتابة، كما يستعمل في محو صلصال الطين من على اللوح وحتى لمحو الأخطاء أثناء الكتابة.

– الفلاقة: وهي أداة العقاب التي يعاقب بها المعلم التلاميذ الذين لا يحفظون ألواحهم وسورهم.

– عصى المعلم: التي يؤدب بها الأطفال.

3.5– طرق وأساليب التحفيظ داخل المدارس القرآنية:

1.3.5– خصائص طرق وأساليب التحفيظ داخل المدارس القرآنية: وأهم ما يميز هذه الأساليب الخصائص التالية:

– أنها أساليب في معظمها مازالت تتميز بالطابع التقليدي.

– أنها أساليب تعتمد على التسميع من طرف الشيخ أو المعلم للمتلقين.

– أنها أساليب تعتمد أيضا على الاسترداد.

– أنّ أساليب التحفيظ داخل أغلب المدارس قد تكون متطابقة أو متشابهة إلى حد كبير ويغلب عليها كما أسلفنا الطابع التقليدي من خلال استعمال الوسائل التعليمية البسيطة المعروفة في مثل هذا النوع من التعلم.

2.3.5– أنواع طرق وأساليب التحفيظ داخل المدارس القرآنية

وإذا أردنا الحديث بشيء من التفصيل عن أكثر الأساليب انتشارا والتي لمسناها داخل هذه المدارس وتم إخبارنا بها من طرف بعض المعلمين فنجد ما يلي:

أولا– التلقين والتسميع:

في أول الأمر يُقسّم الطلبة إلى فئات كما أشرنا إلى ذلك في عنصر سابق، وذلك حسب سنهم وقدراتهم العقلية، فتلاميذ المرحلة العمرية الأولى يستخدم معهم فقط أسلوب التسميع والتلقين لحروف اللغة العربية حتّى يصلوا إلى التمكّن الصحيح من نطقها واستيعاب شكلها داخل الخريطة الذهنية، لينتقلوا بعدها إلى المرحلة الثانية التي تعتمد هي الأخرى على التسميع والتلقين المباشر من طرف المعلم لتلقين الأطفال الصغار وتسميعهم قصار السور حتّى يتم حفظها في أذهانهم بشكل جيد، وعند بلوغ الأطفال الصغار مرحلة تسمح لهم بالتحكم بالقلم يطلب منهم إحضار لوحة خشبية تصنع خصيصا لهذا الغرض مع قلم للرصاص لينتقل التلميذ من مجرد السماع من الشيخ أو المعلم إلى الخط والكتابة، حيث يعمد المعلم إلى الكتابة على لوحة الطالب بقلم الرصاص فقط بخط مغربي واضح ويطلب من الطالب أن يعيد الكتابة فوقه بالحبر المخصص لذلك إلى غاية أن يتمكن الطالب من تحسين خطه بالكتابة ويصبح قادرا على الكتابة بخط واضح ومفهوم، لينتقل بعدها إلى المرحلة التالية وهي أهم مرحلة تعليمية داخل المدارس القرآنية، بحيث يصبح الطالب من خلالها قادرا على التحكم في الكتابة والإملاء والحفظ والمراجعة وجميع الأنشطة بمفرده، وتعتمد المدارس في هذه المرحلة على طريقتين أو أسلوبين للتحفيظ، الطريقة الأولى وهي التي يجلس فيها الطلاب حول المعلم فيملي عليهم شيئا من القرآن وهم يكتبون ثم يصحح لهم الأخطاء التي وقعوا فيها بعد الانتهاء من كتابة الألواح، وتلقى هذه الطريقة استحسانا من قبل الكثيرين، والطريقة الثانية وهي التي يكتب فيها الطالب لوحته بمفرده في منزله ثم يأتي ليعرضها على الشيخ.

ثانيا– المراجعة:

وهي النشاط التربوي الذي تهدف من خلاله المدارس القرآنية إلى تثبيت كلام الله تعالى في أذهان طلابها، وتختلف أساليب وطرق المراجعة من مدرسة لأخرى ومن معلم لآخر، فبعض المدارس مثلا عندما يكمل الطالب مباشرة كتابة لوحته على المعلم يقوم بعرض اللوحة القديمة، والبعض الآخر يعرض اللوحة الجديدة، وهناك مدارس تخصص الفترة الصباحية فقط للكتابة على اللوح أما حفظ اللوح فيترك للفترة المسائية، أمّا بالنسبة للمراجعة العامة أو حفظ السور فهناك مدارس تطلب من طلابها يوميا خلال الفترة المسائية مراجعة عدد من السور التي سبق للطالب أن حفظ أجزاءها باللوح حتّى تترسخ في أذهنهم بشكل مجمل، في حين أن هناك مدارس تخصص لها يوما معينا في الأسبوع للمرجعة وهي في الغالب يوم الأربعاء آخر يوم في الأسبوع الدراسي، بحيث يستجمع الطالب الأجزاء الأخرى التي حفظها مشتتة ليعرضها على شيخه في شكل سورة أو جزء كامل، وإن كانت بعض المدارس تلزم طلابها بجزء كامل وهو حزبين، فإن مدارس أخرى يحدد المعلم فيها لكل طالب ما يجب أن يراجعه ويعرضه عليه، وتستمر هذه العملية في التحفيظ لكتاب الله من كتابة وحفظ للوحة ثم تجميع الأجزاء المحفوظة في شكل مجمل إلى أن يتم الطالب ختم القرآن الكريم، فينتقل بعضها إلى المراجعة من الكتاب ولكن هذه المرة من بدية المصحف إلى آخره، أي من سورة البقرة إلى سورة الناس عكس المرة الأولى التي كان يبدأ فيها من قصار السور ويتدرج الطالب إلى أن يصل إلي سورة البقرة، ويعرض الطالب الحافظ أو الخاتم لكتاب الله كل يوم جزأين أو مجموعة أجزاء على معلمه إلى أن يعيد القرآن أكثر من مرة ويترسّخ في ذهنه بشكل جيد ويقدم أغلب الطلبة بعد ذلك للقيام بصلاة التراوح لاستظهار القرآن الكريم كاملا.

ثالثا- طريقة الحفظ والمراجعة بالحزب الراتب:

وهي من أشهر الطرق والأساليب التي تشيع في بلاد المغرب الإسلامي عموما والصحراء بشكل خاص، وقد استحدثها علماؤنا لما فيها من الخصائص الإيجابية الكثيرة التي تعين على حفظ القرآن الكريم، خاصة وأن الفرد ضعيف بمفرده قوي بإخوانه فلو حاول أن يعتمد على المراجعة الانفرادية لأصابه الملل لأن أصعب شيء في الحفظ هو المداومة لأنه كما روى الإمام مسلم عن أبي موسى الأشعري " تعاهدوا القرآن، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها " كما أنه يعلم الطالب الانضباط في المراجعة، حيث يخصص لكل يوم جزء فقط من القرآن فيجد الطالب نفسه كل شهر يختم القرآن مرة واحدة على الأقل كما أن الطلاب من خلال قراءتهم مع الشيوخ يصحّحون كثيرا من الكلمات القرآنية التي ربّما حفظوها خطا من حيث الشكل وقد وقع للكاتب شخصيا الكثير من هذا حيث أنه بفضل الحزب الراتب كان المعلم يصحح لنا الكثير من الكلمات القرآنية التي غفلنا عليها أثناء الحفظ، وفي الغالب يخصص الوقت ما بين صلاتي المغرب والعشاء لقراءة الحزب الراتب ويحظره إلى جانب الطلبة حتّى باقي أفراد المجتمع الذين يرغبون في سماع القرآن أو القراءة مع الطلبة.

رابعا- طريقة المراجعة بالحلقات:

وهي طريقة أو أسلوب في التحفيظ تعتمده بعض المدارس القرآنية من خلال توزيع الطلبة على حلقات متجانسة مما يسهل على المعلم عملية التعليم فعوض أن يملي أو يسمّع القرآن لكل فرد يقوم بتسميع القرآن للمجموعة كاملة وإذا تأخر فرد مثلا في الكتابة فإنه لا ينتظر المعلم بل يكفيه أن يكتب من عند قرنائه، كما أنه من بين خصائص هذه الطريقة هو زرع المنافسة بين أعضائها، والتوزيع داخل هذه الحلقات كما أشرنا يكون بالنظر إلى خصائص الطلاب وقدراتهم العقلية، فأعضاء كل حلقة يكتبون مع بعض ويحفظون مع بعض ويعمل المعلم فقط على توجيههم إلى أن يتموا القرآن.

خامسا- طريقة التعليم بالأقران:

وهي قيام التلاميذ بتعليم بعضهم بعضا، وقد يكون القرين المعلم من نفس العمر أو المجموعة، أو يعلوهم عمرا أو مستوى دراسي، وتحتاج هذه الطريقة إلى توفر شروط لتطبيقها:

1- القبول من جانب القرين المعلم وأقرانه التلاميذ، فكلما ازداد التوافق النفسي وتقاربوا في الميول والآمال الشخصية كلما كان التفاعل أكثر والاستفادة التربوية أكبر.

2- كفاية معرفة القرين المعلم الخاصة بموضوع التدريس المطلوب.

3- كفاية القرين المعلم من حيث قوة الشخصية وسلامة القيم والأخلاقيات العامة.

5- معرفة القرين لكيفية التفاعل مع التلميذ وتدريسه.

6- تحضير المعلم المشرف على التعليم بالأقران لبيئة ومواد ووسائل التعلم حتى يمكن للقرين المعلم القيام بواجبه كما يتوقع منه.

- أهمية طريقة التعليم بالأقران: إن لهذه الطريقة التعليمية أهمية بالغة الأثر على الطالب وعلى المدرسة القرآنية ككل فهي:

1- تمثل نوعا من التدريب التعليمي للخبرات المكتسبة وتساهم في إعداد التلميذ الجيد لدوره الاجتماعي كمعلم بعد تخرجه ولذلك وجدنا الطلبة الذين كانوا يقومون بها من أفضل طلبة مدارس التحفيظ ومن أفضل معلميها والناشطين فيها بعد تخرجهم.

2- تقلل الاعتماد بشكل كلي على المعلم، وتعطي فرصا أكبر للطلاب للمشاركة في العملية التعليمية الأمر الذي ينمي خبرة الطالب ومهاراته(عبد اللطيف فرح، 2005، ص50)

وفي دراسة ميدانية لفريق من التربويين من أجل قياس أثر التعلم بالأقران على التحصيل الدراسي للطلاب الصف الثاني الابتدائي، توصل الفريق إلى جملة من فوائد هذه الطريقة أهمها أنها:

3- تمنح الطالب الثقة بالنفس.

4- تتيح الفرصة للتعلم دون قيود مفروضة من المعلم.

6- تنمي روح التعاون بين الطلاب.

7- تتيح الفرصة للمعلم وتفرغه للنهوض بمستوى الطلاب ذوي التحصيل المتدني وذلك بالعمل معهم بشكل مباشر.

8- تزايد التعاون والثقة بين المعلم وطلابه مما يجعل الطلاب أكثر تفاعلا مع معلمهم.

سادسا- صلاة التراويح التدريبية:

تقام صلاة التراويح التدريبية بعد صلاة المغرب، حيث يجمع الشيخ الطلبة بعد صلاة المغرب ويقدم في كل مرة طالبا لصلاة ركعتين وهو يجلس خلفه ويختبر حفظه وصوته ولا يشترط حفظ القرآن كاملا في ذلك، ويقدم الشيخ من الطلبة الجيدين طلبة لأداء صلاة التراويح بالناس.

3.3.5- ايجابيات طرق وأساليب التحفيظ في المدارس القرآنية:

– تمثل أساليب التحفيظ دعما كبيرا لنجاح المنظومة التربوية من خلال إعدادها لطلاب يتقنون القراءة السليمة ويجيدون الكتابة والسيطرة على القلم وهو ما من شانه أن يوفر الكثير من الوقت على المعلمين داخل المدارس والمؤسسات التعليمية في عملية تعويد التلاميذ على الخط والكتابة.

– إن عملية التدرج والمرحلية التي تتبعها المدارس في تحفيظ القرآن للطلاب تمكّن الطلاب من الارتقاء داخل مستويات المعرفة العلمية واكتساب مهارات التعلم دون الشعور بالفتور والملل والتمكن من العلم جيدا من خلال الهضم الجيد لكل مرحلة تعليمية ثم الانتقال إلى المستوى الأعلى منها.

– إن عملية الحفظ والمراجعة الدائمة تنشط الذاكرة الذهنية للطفل وتساهم في تطويرها وتنميتها وهو ما تؤكد عليه العديد من النظريات التربوية الحديثة، وهو ما تفسر به أيضا الكثيرا من الدراسات التي أجريت حول تفوق طلاب المدارس القرآنية في التحصيل الدراسي.

– إن تعامل الطفل مع اللوح الخشبي وجلوسه الطويل من أجل كتابته وحفظه يزرع في الطفل سلوك الصبر ويعزز ثقته بنفسه ويهدئ من حدة الانفعالات العاطفية للفرد .

– تشكل المدارس القرآنية اليوم ملاذا آمنا للكثير من الأسر والعائلات الجزائرية التي أصبحت ترى فيها المخلص للأبناء من جحيم التيارات التغريبية والفرنسية خاصة داخل بعض من مؤسسات رياض الأطفال والمؤسسات التعليمية.

– تمثل مدارس تحفيظ القرآن الكريم اليوم أكثر الحلول نجاعة في التخلص من مظاهر العنف المدرسي الذي يؤرق التربويين وذلك من خلال التنشئة السليمة والمتوازنة التي تمنحها هذه المدارس للأطفال.

– تساهم هذه الأساليب في تكوين علاقة قوية بين المعلم وطلابه تتعدى الجوانب التربوية إلى كافة الجوانب الاجتماعية مما يجعلها نموذجا للاقتداء في ظل الدعوات المتصاعدة اليوم من أجل إيجاد علاقة جيدة بين المعلم والأستاذ داخل مؤسسات التعليم.

4.3.5– سلبيات طرق وأساليب التحفيظ في المدارس القرآنية:

– إن بقاء مناهج وأساليب التدريس داخل المدارس القرآنية على شكلها التقليدي في مقابل التطور الكبير الذي تشهده المناهج التربوية الحديثة جعل البعض من هذه المدارس ينحصر أداؤها وتتراجع نتائجها داخل المجتمع في السنوات الأخيرة.

– على الرغم من العلاقة الجيدة التي تربط معلمي هذه المدارس بطلابهم إلاّ أننا لمسنا النقص الواضح في التكوين البداغوجي خاصة في علم النفس التربوي لأغلب المعلمين وهو ما ينعكس سلبا على أدائهم.

– عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب في الكثير من هذه المدارس، الأمر الذي جعل الكثير من الطلبة الذين كان بإمكانهم أن يحفظوا القرآن في مدة قصيرة أن يتأخروا في ذلك.

– لا يزال الاعتماد على الوسائل التقليدية هو السمة الغالبة في أغلب هذه المدارس وهو ما أثر سلبا على العملية التحفيظية في هذا العصر الذي يوصف بأنه عصر الوسائل والوسائط التكنولوجية الحديثة، خاصة وأنا علوما أخرى قد حققت نجاحا باهرا من خلال اعتمادها على هذه الوسائط.

– إن الاعتماد على التلقين والاسترداد دون المناقشة والتعليل جعل الطلاب في كثير من الأحيان يحفظون دون فهم واستيعاب.

– عدم مراعاة أحكام التجويد والتلاوة داخل نشاطات التحفيظ، وهو ما جعل الطلاب يحفظون دون إتقان.

– الاكتظاظ الكبير داخل المدارس القرآنية، حيث أن أغلب هذه المدارس ليست إلاّ حجرات صغير تقتطع أو تبنى داخل أو جوار المسجد يحشر فيها أعداد كثيرة من الطلبة خاصة في فصل الصيف.

6– التحديات التي تواجهها مدارس تحفيظ القرآن الكريم

تجد المدارس القرآنية وحلقات التحفيظ اليوم نفسها أمام تحديات تفرضها التغيرات الحاصلة في هذا العصر أهمها:

– في الجانب التشريعي والتنظيمي: على الرغم من القوانين والمناشير الوزارية المهيكلة لتنظيم نشاط المدارس القرآنية، إلاّ أنه ما يزال ينقص النشاط القرآني ومدارس التحفيظ تنظيم أكبر خاصة ما يتعلق بتحسين مناهج التحفيظ وانتقاء المعلمين وتنظيم أوقات الدراسة وعلاقة هذه المدارس بالمنظومة التربوية ونظام الشهادات الممنوحة لطلاب المدارس القرآنية.

– إن مدارس التحفيظ مطالبة أكثر من أي وقت مضى بتحسين مناهجها التربوية والاستفادة من النظريات التربوية الحديثة وذلك من أجل مواكبة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية لهذا العصر.

– ضرورة إعادة النظر في انتقاء المعلمين لهذه المدارس بما يخدم أهداف التعليم القرآني خاصة من حيث التكوين الجيد والتمكن من طرق توصيل المعرفة دون إغفال الجوانب الدينية في شخص المعلم.

– ضرورة إدخال مواد مكملة للتعليم القرآني خاصة لفئة الطلبة الحفظة كعلم التجويد من خلال دراسة مقدمة الجزرية ومتن التحفة وبعضا من تفسير القرآن وقواعد اللغة العربية.

– الاستفادة من التجارب الرائدة في ميدان التحفيظ خاصة تلك التي قطعت أشواط كبيرة جدا في هذا الميدان كالجمعية العالمية لحفيظ القرآن الكريم الواقع مقرها بجدة السعودية.

– تمثل الأسرة الداعم الأول والعامل الأساسي في نجاح المدارس القرآنية، وهو ما يتطلب من هذه المدارس إيجاد علاقة متينة لها مع الأسر والعائلات عن طريق ترغيب هذه الأسر في القرآن الكريم وتعلمه وإرسال أبنائها إلى المدارس خاصة مع التغير الذي يشهده المجتمع عن طريق طغيان الجوانب المادية والنظرة القائمة حول عدم إنتاجية هذه المدارس عكس المدارس المدنية.

– مواجهة التزايد المستمر في أعداد المنتسبين لهذا النوع من التعليم عن طريق توفير الدعم المالي وتوسيع حجرات الدراسة أو بناء مدارس خاصة عصرية تواكب التطورات الحاصلة وتستوفي جميع شروط اكتساب المعرفة.

II– خاتمة

إن التعليم القرآني ممثلا في الكتاتيب ومدارس التحفيظ لا يزال يشهد له حضورا داخل الحقل التربوي الديني في مدينة تقرت بجنوبنا الكبير، وأنّ العامل الديني يمثل أهم عامل حاسم في الحفاظ على التراث الثقافي، كما أنّ للجمعيات الوطنية والمحلية خلال السنوات الأخيرة دورا بارزا في المساهمة بالدفع في هذا التعليم وتحسين أدائه ومردوديته بشكل عام.

كما أن هذا التعليم لا يزال محافظا على خصائصه في شكلها القديم، سواء تعلّق الأمر بمناهجه التعليمية أو بوسائله وطرقه التقليدية، وهي إحدى التحديات التي يواجهها اليوم التعليم القرآني.

ليبقى لنا أن نشير أن التعليم القرآني أثبت من خلال عديد الدراسات الميدانية والنماذج العينية، أنه يمثل رافدا مهما للمدرسة الجزائرية ومعينا لنا، ليس في التربية التحضيرية في حسب وإنما في ما يكسبه من اتزان في الشخصية للمنتسبين له، فضلا عن عديد الإيجابيات الأخرى التي كشفت الدراسات عنها.

II- التوصيات:

إن التوصية التي يمكن رفعها من خلال هذه الدراسة هي الدعوة إلى إعادة النظر في وجوب الاهتمام بمدارس تحفيظ كتاب الله تعالى وتجديدها وفق المناهج والأساليب الحديثة والاستفادة من مزاياها الكبيرة والمتعددة أصبح يطرح نفسه أكبر من أي وقت مضى، خاصة مع المشاكل الكبيرة التي تعاني منها المنظومة التربوية، والمكائد التي تواجهها الطفولة الجزائرية من دعاة التغريب والفرنسة وجميع أشكال التعصب والتطرف، وكافة مظاهر الآفات الاجتماعية التي أضحت تتربص بالشباب المسلم.

- المراجع :

1- الأهواني، أحمد فؤاد. (1968). التربية في الإسلام. القاهرة: دار المعارف.

2- بن جدو، بن داود. (نوفمبر 2003). الزوايا القرآنية المتحركة، مجلة رسالة المسجد، العدد 04. منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 38-47

3- بوفجلة، غياث. (1993). التربية ومتطلباتها، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

4- التجاني، نورة. (ديسمبر 2016) التعليم القرآني في القديم والحديث، ندوة محلية لإطارات الشؤون الدينية بالمفتيشية الرئيسية بتقرت الكبرى، مديرية الشؤون الدينية ولاية ورقلة، الجزائر.

5- تركي، رابح. (2005). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر. (ط5) الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر.

6- زيرق، دحمان. (2012/2011). دور المدرسة القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية للتلميذ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة بسكرة، الجزائر.

7- شمس الدين، عبد الأمير.(1956). الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق. (ط2). بيروت. دار إقرأ.

8- عبد الدايم، عبد الله. (1984). التربية عبر التاريخ، (ط5). بيروت: دار العلم للملايين.

9- فرح، عبد اللطيف.(2005). طرق التدريس في القرن الواحد العشرين. عمان: دار المسيرة.

10- كامل سليمان، وعلى العبدالله.(د ت). التربية. بيروت. منشورات مجلة الثقافة.

11- اللّقاني، أحمد حسين.(1986). الوسائل التعليمية والمنهج المدرسي، (ط2). القاهرة: مؤسسة الخليج العربي.

12- اللقّاني، محمد حسن.(1989). المناهج بين النظرية والتطبيق. القاهرة: عالم الكتب.